جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
رئاسة الجامعة المستنصرية
كلية الآداب/ قسم اللغة العربية
الدراسات العليا

البلاغة الجديدة

دراسة في مفاهيم الشعرية واللسانيات المعاصرة

أطروحة تقدَّم بها الطالب

وليد فرحان علي

إلى مجلس كليّة الآداب– الجامعة المستنصريّة

وهي من متطلبات نيل شهادة دكتوراه فلسفة في اللّغة العربيّة وآدابها/أدب

بإشراف

الأستاذ الدكتور

فائز هاتو الشرع

١٤٣٦هـ بغداد ٢٠١٤م

المستخلص

لا يتخلّى المرء منّا عن البلاغة ولا يستطيع العيش من دونها، ثمة ما يمنعه من ذلك ما دام يتكلّم، ويريد الحفاظ على التواصل، ويسعى بدأب الى اللّذة، ويرضخ للحجج ويأنس لعوامل الإقناع.

لا يتخلّى المرء منّا عن البلاغة لأنّ فكرة أنّه ابنٌ مثالي لبيئته التي تحترم البلاغة وتجلّها ما زالت فاعلة في وجدانه وماثلة في انشطته اليومية وسلوكه التعبيري، ولا يتركها لأنّ بناه الفكرية والدينية واللغوية أثبتت أنَّ القول "البليغ" جزءٌ من ابتكار الكائن البلاغي الفاعل في أرض الثقافة العربية، بل لعلّه ابتكاره الأمثل.

تلك القدرة، التي قرنت البلاغة بالقول، ساعدت على تمثّل التحوّلات الجديدة في أجناسه وطرقه، ففي عروق القول ما يحثّ على استيلاد النموذج البلاغي الملائم لكلّ زمن وحياة، وقدرة البلاغة على التكوّن و"النمذجة" مرتبطة بقدرتها على اكتساب الجديد والتفاعل معه بل في كثير من الأحيان؛ مرتبطة بقدرتها على مقاومة الأفول والحرص على عدم التفريط بمرحلة جديدة يمكن أن تعود البلاغة معها سلطةً مطلقةً للقول؛ ترضي شهوة الإنسان للسيطرة وتلبي طمعه الدائم بالهيمنة.. وربّما تشبع لهاثه خلف الإبداع والتّفرّد...إنّها بصيغة درامية جزءٌ ولودٌ من حضوره الكلامي.

مرت البلاغة بمراحل مختلفة من تاريخ اللسان البشري؛ وملامح تجدّد يصعب حصرها. وحتى عصرنا الحالي، تحوّلت البلاغة باختلاف أشكال التنظير من إرضاء حاجة الإنسان الى التعبير بها الى إرضاء حاجته لتغييرها. وفي عمل تجديدي يشمل البلاغة، وهي ملتصقة بنشأة التعبير؛ يكون الأعقد من وصف مبادئ التجديد فيها تحديد مسوّغاته. لماذا نجدّد البلاغة؛ اذا ما مثّلت حاجة بشرية دائمة، وتعدّت التجارب التاريخية في تكوينها لتحقق بنية قاعدية مستقرة، وطرحت على الدوام بوصفها رحلة لغويّة موجودة على اختلاف الأزمنة، تتغيّر لكنّها لا تموت؟

عندئذ تبرز ثلاثة احتمالات مع كلّ ادّعاء بالتجديد: الأول أنّ البلاغة الجديدة التي ندرسها في هذا البحث جديدةٌ كليّاً ولا ترتبط بالقديمة بأي شكل. الثاني أنّ جزءاً منها يشمله التجديد، لكنَّ قديم البلاغة ممتدٌّ وباقٍ في تحوّلها الجديد، وتجديد جزئها يعني تغييراً في القيمة الأولية للمهيمن البلاغي، فيكون أحد طرفي البلاغة الرئيسين؛ الحجاج والأسلوب، معنيا بالتجديد، لكن التجديد لا يشمل الاثنين. الثالث أنّ فكرة التجديد تعني التحديث، أي إعادة الإنتاج، بصورة تلائم الروح التحديثية التي تغزو الفنون والآداب والسينما والصناعة والعمارة والطباعة والتكنولوجيا.

إنّ التجديد في البلاغة لا ينال الهيكل البلاغي، فلا ننتظر من البلاغة الجديدة أنّ تغيّر معالم البنى البلاغية الثابتة، ومن ثم يمكن للبلاغة الجديدة أن تقترح بنية جديدة للاستعارة أو تكافح من أجل ثورة مصطلحية تقوّض البناء الإصطلاحي القديم برمته، لكنّ هذه البلاغة إذ تسعى الى التجدّد، فإنّها تدرك في الوقت نفسه الثغرات التاريخية التي مرّت بتاريخها وأحالتها الى محسّن أدبي أو وظيفة حجّيّة صارمة، وهي تنظر للتاريخ لأنّها تدرك أنَّ كلَّ مآل تجديدي لا بدّ من أن يقرّ فيه القديم بصيغة جديدة تناسب التحوّل، ولا يمكن إهماله تماماً.

إذاً فالاحتمال الثالث هو الأقرب لما نحن بصدد البحث فيه، إذ لا تقدّم البلاغة الجديدة عملا يفارق البلاغة القديمة بالكامل، واذا ما ركّزت في حداثتها الجديدة على الحجاج فإنّها لا تنكر قيمة الأسلوب في تحقّق الإقناع، وهي من ثم أكثر امتناعا في تفضيل قيمة أحدهما على الآخر، فاذا كان بيرلمان وتيتيكا – وهما الأكثر قربا

لتوريد مصطلح البلاغة الجديدة وبثّ الروح فيه – رجّحا أن تكون البلاغة الجديدة عودة لحجاج أرسطو؛ فإنَّ هناك من رأى أنّ البلاغة الجديدة هي الجزء الآخر من القارة البلاغية، وتحديداً في الجزء المتعلّق منها بالأسلوب، وثمة طرف ثالث رأى في جمع الحجاج والأسلوب تحت مظلة البلاغة الجديدة حلّا وسطا، جاء بمثابة الإيواء لطرفين تصارعا طويلاً حتى تصالحا.